صلة الاشتقاق بالتفكير العربي
ومظاهره في غير العربية.

الدكتورة حورية مدان

جامعة يحي فارس- المدية .

الملخص:

إنّ الوسائل المتاحة لوضع المصطلح تتنوّع بين الترجمة، والإبداع ، والمجاز والنحت و**الاشتقاق**. والملاحظ أنّ العربية لغة اشتقاقية، وهذا يعني إمكانة تشكيل المادّة اللغوية الواحدة على هيئات مختلفة، تكون كلّ هيئة منها على وزن خاص، خدمة لوظيفة معيّنة. هذا الأمر أضفى على اللغة العربية روح الحركة والحيوية، وبث فيها من الخصوبة ما جعلها صالحة لكلِّ زمان.

فموضوع المقال هو الكشف عن صلة الاشتقاق بوصفه عملية ذهنية أساسها الصيغة الثابتة، والمحتوى المتجدِّد بالتفكير العربي .

Résumé :

Ce travail vise à faire connaître le lien entre la notion de **l'ishttiqaq** et la méthodologie de la pensée arabe. Nous essayons de démontrer que les deux spécifités basées essentiellement sur la dérivation (le shème et la racine) sont propres à la linguistique arabe et que même si d'autres langues en jouissent , ces phénomènes linguistiques restent particuliers dans la langue arabe.

إنّ التفكير البشري يواجه عالما محسوسا معقولا، تنتظم فيه الموجودات على وجه كلي وتدرك فيه الجزئيات بصفاتها العارضة و اللازمة، ضمن نظام محكم، يقول فيه الدكتور ابن لعلام : «فها هي ذي فكرة الاتساق والانسجام في ظواهر العالم

تستحوذ على أذهان أكثر العلماء،إن لم نقل كلّ العلماء، وهي فكرة ضرورية، لأنّها توجِّههم إلى اكتشاف موجود قد يخفى عن الحسّ، متمثل في القوانين والقواعد المطردة التي تحكم مجرى الظواهر ونظامها، هذه الفكرة التي تفترض الاتساق في جريان الظواهر في العالم، ساعدتهم على اكتشاف علاقات نسقية تربط بين أشياء قد تبدو في الظاهر مختلفة» [1] .

و إن كان نظام العالم واحدا، و جزئياته مطردة، فإنّ نظام التفكير البشري قد يتباين،ويختلف باختلاف شرطيه: الذات المهيّأة للإدراك، والموجودات القابلة لأنْ تدرك.

و يتّصف الفكر الإنساني بخصائص وسمات منها: إدراكه لعلاقات الاحتواء، والانتماء والتضمّن بإرجاع الصّور الحسِّية إلى المعاني الكلية المشتركة فيها. وإلى هذا المعنى يذهب ابن سينا إذ يقول:« فتكون هناك صور كثيرة مأخوذة من الناس المحسوسين، فيجدها العقل متخالفة بعوارض، مثلما يجد زيدا مختصّا بلون و سحنة و هيئة أعضاء كذا، و يجد عمرا مختصّا بأخرى غير تلك فيقبل على هذه العوارض فينزعها، فيكون كأنّه يقشر هذه العوارض عنه ويطرحها من جانب، حتى يتوصّل إلى المعنى الذي يشترك فيه ولا يختلف به و يحصلها ويتصورها» [2] .

و يرجع الأستاذ محمد الأوراغي في كتابه:«اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم» أصل الاشتقاق إلى هذه الميزة التي ارتبطت بالفكر العربي، و طبعت حياته، وسلوكاته، وأفكاره. ونلاحظ على آرائه عمق التفكير الفلسفي، خاصّة بتأثير من دراسته لآراء ابن سينا. وهو يقول:« فأصل الاشتقاق المختار من واضع العربية، قائم على خاصية تضمن التشاكل الصوتي لكلٍّ ما يتناسب معنى... وبما أنّ المعاني الممكن تفريعها عن المثال الأوّل قد تصل إلى عدد كبير يلزم أن تتصف تصويتاته بالقابلية لعدد كبير من التغييرات، دون أن تفقد صفة التشاكل. والذي يوفر لها هذه الصفة هو أن يكون عددها ثلاثا، وهي الموصوفة بأعدل الأصول» [3] ويمكن تشبيه الاشتقاق بالرابطة النسبية بين الناس، ويتّضح

هذا بالنظر إلى الألفاظ العربية التي نجدها تتألف من حروف ثلاثة أصلية ، فإذا صبّت في قوالب مختلفة تشكّلت بطواعية ألفاظ جديدة محافظة على تلك الحروف ومعناها العامّ، بزيادات تركيبية ودلالية خاصّة .

يقول تمام حسان :« تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معيّنة، قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغة في أصول ثلاثة معيّنة ، فتكون فاء الكلمة وعينها ولامها فيهنّ واحدة... وهذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم الاشتقاق، وفي المعجم تحت اسم الاشتراك في المادّة» [4] .

فالكلمة جسد وروح، جسمها البنية الصوتية و ما يُصبّ فيها من مادّة معجمية، وروحها معناها ولا وجود للكلمة المنفردة في الذهن، بل إنها ترتبط بغيرها من الكلمات أشدّ الارتباط سواء بالجسد، أو الروح، أو بهما معا. وفي هذا المعنى، يقول الجرجاني:« ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاها العقل » [5]

وإلى المعنى ذاته يشير محمد المبارك بقوله:«فالكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات، بل مجتمعات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. وإذا كان بين أفراد القبيلة روابط مشتركة تربطها وتصل بينها، ونسب محفوظ تلتقي عنده، ومعان يجتمعون عليها، فإنّه بين مفردات لغتهم ذات الاشتراك» [6]

فألفاظ مثل: عِلم، عالم، معلوم،علاّمة، علامة، إعلام، استعلام، معلومة، معلِّم، متعلِّم، معلَّم متعلَّم...إلخ، ترجع كلها إلى أصل واحد تشترك معه في المادة اللغوية(ع ل م) وكذا في معنى هذا الأصل وهو تحصيل الفائدة المعرفية، وتختلف عنه في معناها الخاصّ الناتج عن التحويلات التي لحقت صيغها، وكل منها تُردّ إلى سياقاتها المناسبة في التركيب.

و المتتبِّع لحياة العرب في بيئتهم الأصلية يلمس هذه السمة في الحكم القبلي المعتمِد على رئيس القبيلة في رأس الهرم. فهو القائد الشجاع ،الشهم ،العادل،الحكيم،

الفصيح،وغيرها من الصفات التي لا تورّث، لذا لم يكن المنصب وراثيا، بل كان أساس هذه السيادة هو النسب الشريف.

فإذا توقفنا عند قول الدكتور عمّار ساسي:« إنّ الألفاظ العربية هي كالعرب أنفسهم تتجمّع في قبائل و أسر معروفة الأنساب، و تحمل هذه الألفاظ دوما دليل معناها و أصلها، ميسم نسبها» [7].

فإننا نتبيّن الصلة الوثقى بين الاشتقاق و التفكير العربي. و للتأكيد على هذه الصلة نعرّج على تلك الإصطلاحات الخاصة بتقسيم القبائل و التي صنّفت إلى عشر طبقات وهي :

الطبقة الأولى : الجذم و هي الأصل إما إلى عدنان و إمّا إلى قحطان

الطبقة الثانية : الجماهير أي الجماعات

الطبقة الثالثة : الشعوب و هي التي تجمع القبائل

الطبقة الرابعة : القبيلة و هي التي دون الشعب و تجمع العمائر، و إنما سميت قبيلة لتقابل

بعضها ببعض، و استهوائها في العدد.

الطبقة الخامسة : العمائر و هي دون القبائل، و أحدها عمارة، و تجمع البطون

الطبقة السادسة : البطون و هي التي تجمع الأفخاذ

الطبقة السابعة : الأفخاذ و أحدها فخذ ، و هي أصغر من البطون، و تجمع العشائر

الطبقة الثامنة: العشائر و هي التي تتعاقل إلى أربعة آباء

الطبقة التاسعة : الفصائل و هي أهل بيت الرجل

الطبقة العاشرة : الرهط و هي أسرة الرجل

فانتساب المعاني إلى بعضها بعض، على الوجه الكليِّ ضمن علاقة الاندراج (من الأسفل إلى الأعلى) هو الذي اقتضى أصل الاشتقاق. لكنّ هذا الارتباط لا يعني مطلقا الجمود والتقيّد، وهو ما يشير إليه محمد المبارك في قوله:« إنّ ارتباط

أفراد القبيلة العربية بأصل واحد لم يحل دون تنوّعهم في أشكالهم وصفاتهم ، وكذلك كانت لغتهم، فما يوجد في ألفاظها من ارتباط وانتماء إلى أصول مشتركة لم يمنعها من التولد المستمرّ المتنوّع الرائع» [8].

وهذا ما يؤكد صلة الاشتقاق بالتفكير العربي، فكأنّ الكلمة تسلك سلوكه، وتتّصف بصفاته.

ناهيك عن صلة الاشتقاق بالجانب الحياتي للعرب من عادات وخصائص ،فمحمد المبارك يقول في الموضوع ذاته: «ولا شكّ أنّ الرّابطة الاشتقاقية الموجودة بين الألفاظ توحي لنا بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها بواسطة اللغة، ومن ثمّ تهدينا الخاصّة الاشتقاقية إلى معرفة الكثير من عادات العرب ومفاهيمهم ، ونظرتهم إلى الوجود ، فالمسكن عندهم مكان السكينة، والعقل ليس هو الإدراك الفكري فحسب،بل هو الشيء الذي يعقل صاحبه عن فعل الشرّ، إنّه شبيه بالعقال الذي يعقل الدابة . والشريف مشتق من الشرف ، وهو الارتفاع، أي أنّ الشريف مرتفع على الناس بأخلاقه ومكارمه.» [9] ويضيف الدكتور عمّار ساسي عن الألفاظ:« و تختلف مفردات هذه المجموعات أو أسر الألفاظ كثرة وقلة، فهي كالقبائل ،منها المنجب و العقيم والمكثر والمقلّ . إنّ الألفاظ العربية تكثر و يتوالد بعضها من بعض باستمرار، و تؤدّي بهذه الطريقة الحيّة وظيفتها في الحياة، إذ يقابل كلّ مولود جديد، حسيّا كان أو معنويا، بمولود جديد مثله من اللفظ من الأصول الموجودة و الأرومات القائمة» [10].

و يطابق هذا المعنى، ما في باب المشتقات من الشذوذ والقلة، إلى جانب ما فيها من الاطراد والكثرة. فعلى سبيل المثال ، يرتبط كلّ أصل ثلاثي بمعنى عامّ وضع له، فمادّة (ع ل م) التي مرّت بنا مرتبطة بمعنى الإدراك ، وظهور الشيء مع وضوحه. و كانت المادّة منجبة ولودا كما رأينا من مشتقاتها.

أمّا«كلمة (كميت) التي معناها في لغتنا أسود اللون ، أو الدّاكن ، لا يداخلنا الشك في أصالتها في العربية ، ولكنّنا إذا أمعنّا النظر وجدناها لا تستعمل إلا في

صيغة التصغير هذه ، وليس لها جمع شائع الاستعمال ، والمشتقات منها قليلة جدا» [11] . فممكنات الاشتقاق تختلف عددا من أصل اشتقاق إلى آخر، حتى وإن كانت في التقدير ، أي فيما يحتمل في القياس، متساوية، وذلك للتدافع الحاصل بين أصل الوضع المحتمل في القياس والاستعمال الذي يقتضي قوانين تخصه هو لا غيره كالاقتصاد اللغوي وأمن اللبس.

فللاشتقاق معنى توليدي ، و المفردات المشتقة مرتبطة بمفهوم الانقسام الخلوي الوراثي.

و الخليّة الأم توافق ما يدعى الأصل، و إذا كانت الصبغيّات تحمل مورِّثات الأجداد للآباء والأبناء فإنّ المشتقات تحمل التشاكل الصّوتي المجرّد الذي تبنى عليه الكلمات. وبهذا تشبه مواد اللغة العربية أهلها بانتساب مشتقاتها إليها انتساب الأولاد إليهم. وإلى معنى قريب من هذا يذهب العكبري حين يقول:« فالأصل هاهنا يُراد به الحروف الموضوعة على المعنى وضعا أوّليا. والفرع لفظ توجد فيه تلك الحروف مع نوع تغيير ينضمّ إليه معنى زائد على الأصل . والمثال في ذلك (الضرب) مثلا، فإنّه اسم موضوع على الحركة المعلومة المسمّاة ضربا. ولا يدلّ لفظ الضرب على أكثر من ذلك. فأمّا ضرب، ويضرب وضارب، ومضروب، ففيها حروف الأصل ، وهي الضاد والرّاء، والباء، وزيادات لفظية لزم من مجموعها الدلالة على معنى الضرب ومعنى آخر» [12].

فهذه الزيادات اللفظية التي ارتبطت بها زيادات دلالية، هي تلك التي تفرِّق بين الابن وأبيه والأصل هو ما يجمع بينهما. وكذا على مستوى القبيلة ، فالأفراد ينصهرون في تلك المؤسسة الاجتماعية حتى يكاد يذوب فيها الكيان الفردي.« والقبائل العربية كانت متعادية، متنافرة ، أمّا أفراد القبيلة الواحدة فكانوا متضامنين أشدّ التضامن. ما يغنمه أحدهم فهو للقبيلة، وما يصيبه فعليها، ويعتزّ كلّ منهم بنسبها، ويفاخر بحسبها، ويوافقها على خطئها وصوابها

وهل أنا إلاّ من غزيّة إنْ غوت غويتُ وإن ترشد غزيّة أرشد. » [13]

فنجد القبيلة تفتخر بصوت شاعرها ، وتشتدّ وتقوى بشجاعة فارسها، و تعلو وتعتزّ بشرف نسائها، والرابط متين إلى درجة أنّ الخليع الذي ينبذه قومه ، وتصبح قبيلته في حلّ من أمره ،سرعان ما يبحث له عن قبيلة تضمّه تحت حمايتها ، وكأنّه لا حياة له بدون هذا النظام العامّ،المرتبطة عناصره ووحداته ارتباط العناصر اللغوية ووحداتها. فانتساب المفردات بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية هو مبدأ علم الاشتقاق . فمفردات مثل: كتب، يكتب، استكتب، كاتب مكتوب، كتاب، كتيّب، اكتتب، كتابة، كتيّ، كتّاب، مكتب، مكتبة...إلخ هي ألفاظ مختلفة الهيئة متباينة الصيغة ، ولكنها تنتسب كلها إلى مادة واحدة، هي مادة (ك ت ب).

فالمقاربة بين سلوك العربي، وسلوك الكلمة مستمرّ لدى العديد من اللغويين، ولا يعوز أيّ دارس أن يقف على مظاهر تلك المقاربة في كتب الاشتقاق ،الأمر الذي يعطينا صورة للكلمة متشبِّثة بعائلتها اللغوية بالمعنى، أو بالأصوات اللغوية التي تتركب منها، تشبّث العربي بحياته وسط قبيلته.

2- مظاهر الاشتقاق في غير العربية:

يشبه الاشتقاق لدى علماء الغرب مصطلح Etymology ، أو علم أصول المفردات ، وهو أحد فروع علم اللغة، التي تدرس المفردات وتزوِّد كلّ واحدة منها، بما يشبه بطاقة التعريف الشخصية التي تعرّف الكلمة من جانبها التاريخي، فهو إذن علم نظري عملي يتتبّع تطوّرات الكلمات عبر الأزمنة إلى أن يصل إلى جذورها الأولى. يقول الأستاذ رمضان عبد التواب عن الاشتقاق ، لدى علماء الغرب،أنه:« أخذ ألفاظ القاموس كلمة، كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرّت بها؟ فهو إذن علم تاريخي يحدِّد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح به الكلمة ، مع التغييرات التي أصابتها، من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال» [14] ، ثمّ يضيف قائلا: « أمّا الاشتقاق عند العرب فهو علم عملي تطبيقي، لأنه عبارة

عن توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدِّد مادّتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد» [15] .

وينبغي التنبيه هنا إلى أن الأصل عند النحاة العرب هو غالبا، ليس سابقا في الزمان ، بل في المعقول ، وفي منطق النحو المبني على القياس.

ولا أحد يشكّ في اختلاف اللغات الإنسانية من حيث أبنيتها، ونظامها الصرفي. وهذا الاختلاف الواقع بين اللغات جعل دارسيها يصنِّفونها إلى : لغات جامدة البُنى، ثابتتها، ولغات قابلة للإلحاق، وأخرى اشتقاقية بطبيعتها. فأمّا النوع الأوّل ، أو اللغات الجامدة فيعرِّفها الدكتور عبد الغفار حامد هلال بقوله :« وهذا النوع من اللغات يتضمّن أدنى اللغات بيانا أو أبسطها ألفاظا وكلمات هذا النوع يلازم شكلا واحدا، ويدلّ على معنى ثابت لا يتغيّر(من ناحية المورفولوجيا) ومن ناحية (السنتكس) توضع أجزاء الجملة بعضها بجانب بعض دون روابط وتستفاد وظائفها وعلاقاتها من ترتيبها أو من سياق الكلام» [16] .

و إيضاحا للمسألة يورد صاحب الدِّراسة، اللغة الصينية مثالا. فهم يقولون:(كتاب أنا) للدلالة على (كتابي)، والعلّة أنّه:«...لا يتغيّر فيها شكل الكلمة(أو الجذر) إن وقع في التركيب . أمّا العلاقات الصرفية والنحوية بين كلمة وأخرى في الجملة فتتوقف على موقع الكلمة في الجملة لا على تصريفها أو حالاتها الإعرابية » [17].

وأمّا اللغات الإلصاقية فهي اللغات التي تتألف من أصول جامدة لا تقبل التغيير. وسمِّيت أيضا باللغات الغروية،لأنّ مفرداتها تلتصق ببعضها، وكأنّها ملتصقة بالغراء. و يصفها الدكتور

عبد الغفار حامد هلال بأنّ:« الاشتقاق يقوم فيها بإلحاق أدوات لا معنى لها، وتوضع هذه الأدوات أحيانا قبل الأصل فتسمّى Préfixes ، وأحيانا بعده فتسمّى لاحقة Suffixes ومعظمها كان في الأصل كلمات ذات دلالة ثمّ فقدت معانيها» [18].

و يورد عبد الغفار حامد هلال اللغة التركية مثالا لهذا النوع ، ويذكر كلمة (منزل) التي يقابلها بالتركية Ew ، فللتعبير عن مفهوم (خارج المنزل) يضيفون الزائدة(دِن) ليقولوا Ewden وللجمع يلحقون بها (لِرْ) ليقولواEwler وقد يجمعون بين(دِن) و(لِر) للدلالة على خارج المنازل ، فيقولون Ewlerden.

و نأتي إلى النوع الثالث من اللغات، وهي اللغات المتصرِّفة أو الاشتقاقية. وهذا النوع ينفرد بميزة تغيّر المعاني بتغيّر الأبنية الصرفية. فالمعنى الأصل للكلمة يضاف إليه معنى السوابق أو اللواحق التي تضاف إلى المادّة اللغوية. وأحسن مثال على هذا النوع هو العربية، نحو قولنا: (رياضيات) و(لسانيات)، فضلا عن تميّز كلماتها المتصرِّفة بالصيغ التي تتعاون فتؤدِّي معنى جديدا فيها، نحو قولنا ، اعتمادا على الجذر (س م ع) : سمْع، سامع ، سميع، مسموع، سمّاعة وغيرها. وهذا النوع من اللغات يقبل سوابق ولواحق ذات معنى في نفسها. ويمثِّل لها محمّد المبارك بقوله:«كإضافة ent في الفرنسية وer في الإنجليزية للدلالة على اسم الفاعل، وإضافة in في أوّل الكلمة للسلب، وer للتكرار، وtion في آخرها للحدث، وment للحال في الفرنسية» [19] ومن مظاهر الاشتقاق في اللغة الإنجليزية حصولنا على معنى الحال بإلحاق(ly) بآخرالكلمة فنقول: -carefully happily-badly-quickly- للدلالة على معنى: بحذر، بسعادة بسوء، بسرعة. وكذا نتحصّل على صيغة المصدر بإضافة اللاحقة (ing) نحو: -running counting- -eating-taking للدلالة على معنى: الجري،و الأكل، و الأخذ،والعدّ. وإذا أردنا أن نستخرج الصفة في اللغة الإنجليزية ، فإنّه بإمكاننا الاعتماد على اللاحقة(y) نحو: -healthy-funny-wealthy بمعنى سليم ، مسلٍّ وغنيّ. أو على اللاحقة(ful) وما يقابلها(less) كقولنا: careful أي حذِر، و careless أي غير حذِر.

والملاحظ أنّ هذه الزوائد تفتقد إلى الاطِّراد والقياس المتوفِّرين في اللغة العربية . فـ (er) هي لاحقة تدلّ على معنى اسم الفاعل في الإنجليزية، نحو: Acter

Footballer- Master- لكنّ أسماء الفاعلين قد تأتي بغير هذه اللاحقة كإتيانها بـ (or) مثل: Instructor- Governor- Doctor . كما قد تدلّ هي نفسها على معان أخرى مثل المقارنة في Taller و Smaller أو تكون أصلية في الكلمة نحو: Sister وFather .

أمّا اللغة الفرنسية فالمعروف أنها تتألّف من كلمات موروثة من اللاتينية والإغريقية، وكلمات مستعارة من لغات أخرى. و« لكنّها لا تزال تثرى بطريقة السوابق واللواحق » [20].

و الاشتقاق أو La Dérivation يمثل في الفرنسية آلية تتضمّن الانطلاق من كلمة أساس لصناعة كلمة جديدة، سواء بالزيادة، أو الحذف، أو بإلحاق عناصر جديدة تتمثل في السوابق واللواحق. فكلمة (charge) ، أو الحمولة تقبل السابقة(dé)لتصبح دالة على مكان وضع الحمولة، وتقبل أيضا اللاحقة (ment) للدلالة على حدث الحمل ، حتى إذا اجتمع كلّ من (dé) و (ment) دلّت كلمة déchargement على حدث أو فعل التخلص من الحمولة.

فالمشتقّات أو les dérivés تعتمد على الجذر أو le radical يضاف إليه الزوائد .

و من هذه الآلية نحصل على ما يسمّى بالأسرة اللغوية Mots de la même famille : charger- décharger- chargeur- recharge- chargement- déchargement…

و يذكر أنّ الأنواع المختلفة للاشتقاق في اللغة الفرنسية تتمثل في: الاشتقاق الخاصّ ، الاشتقاق المتناقص، والاشتقاق غير الخاصّ. أمّا الاشتقاق الخاصّ فيتمّ بالسابقة ، أو اللاحقة، أو بهما معا أو بعدّة سوابق ولواحق في آن واحد. فكلمة Porter تصبح Exporter ثمّ Exportation وكلمة: Maille تصبح Démailler ثمّ Démaillable ، وبعدها Indémaillable.

وأمّا الاشتقاق المتناقص Régressive فنعني به الاشتقاق الذي يحدث بحذف لاحقة، ويأتي عادة من الأفعال ، نحو: Porter/ Port -Chanter/ Chant .

والاشتقاق غير الخاصّ Impropre فلا يحدث بتغيير الشكل، ولكن بتغيير الفئة النحوية .

فالاسم العلم يصبح اسما عاديا، أو صفة ، والصفة تصبح اسما ، و كذا الفعل أو الظرف.

والأمثلة كثيرة نذكر منها: الصفة Rose تستعمل اسما، والاسم العلم Watt يصبح اسما عامّا والفعل يصبح اسما نحو Sourire وDevoir ، بمعنى البسمة و الواجب، وكذا الظرف يصبح اسما Avant ، وهكذا.

والملاحظ أنّ السابقة لا تغيّر من الوظيفة النحوية ، لكن تغيّر من الدلالة، بل قد تعكسها تماما كقولنا : . Heureux –Malheureux . Nom- Prénom Faire- Défaire

وكلّ سابقة في اللغة الفرنسية تتّصل بدلالة خاصّة. فـ(Pré) من الأصل اللاتيني تدلّ على معنى القبلية: Préhistoire- Prénom- prénatal . وكذا(Tri) اللاتينية تدلّ على العدد ثلاثة نحو: Triplés- Trimestre- Triangle ، و السابقة(Anti) أيضا من الأصل اللاتيني وتعني ضدّ كما في الأمثلة : Antibiotique- Antithèse- Antipathique

ونجد المعنى نفسه للسابقة Para اليونانية الأصل نحو Parapluie- Parasol ، أي ضدّ الشمس، وضدّ المطر. ثمّ قد تتعدّد دلالات السابقة الواحدة مثلما نلحظ على السابقة(Re)، إذ في كلمة Refaire تعني الإعادة، وفي كلمة Revenir تعنى الفعل من جهة عكسية لما يدلّ عليه الفعل مجرّدا منها، وفي RemplirوRecouvrir تدلّ على تمام الحدث وحصوله بصفة كاملة . وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللاحقة Ier التي قد تعني :

- الوعاء، نحو: Sucrier (للسكر)، و Saladier (للسلاطة)

- الشـجر أو النبـات، Pommier (شـجرة التفـاح)، و Fraisier (شجرة الفراولة)
- المهنة، Douanier (جمركي)، Epicier(بقّـال) [21]

وهكذا فإنّ السوابق واللواحق الفرنسية كثيرة الدوران، ذات دلالات و وظائف تصنيفية تساهم في إثراء اللغة، خاصّة في المجـالات العلميـة. فالسّـابقة Télé تـدلّ علـى معنـى البعيـد، وكلمـة Phone تعـني الصـوت، وتركيبهمـا أعطـى كلمـة Téléphone الدالة على الصوت من بعيد . وكذا مع العنصر Graphe الـدال على الكتابة :Télégraphe. والعنصـر اللغـوي Vision الـدال علـى الرؤيـة : Télévision . وكـذا اللاحقـة Scope تـدلّ علـى الكشـف بالآلـة : Télescopeأي منظار، وStéthoscope أي مسماع. وLogie تدلّ على النشاط العلمي: Biologie ، وGraphe تدلّ أيضاعلى الرّسم : Oscillographe أي راسم التذبذب، وكذا Hyper وHypo الـدالتان علـى معنـيين متضـادّين، همـا الارتفاع والهبوط... وغير هذه الأمثلة كثير ومتنوّع .

يذكر الدكتور محمود فهمي حجازي العديد منها ، وفيما يلي بعض تلك الأمثلة التي أوردها كتابه "الأسس اللغوية لعلـم المصـطلح" : « واحـد= mono ، Uni ، والمثال: monocellular= وحيد الخلية. Uniform= متجانس. اثنـان=di، bi ، والمثـال: dioxide = ثـاني أكسـبيد- biceps = ثنـائي الـرأس، ثلاثـة= tri، والمثال: tripode = حامل ثلاثي، أربعة= quadr، والمثال:quadruped=رباعي الأرجل ، خمسـة= pent ، والمثـال: pentagon = مخمـّس ، التعـدد الكمـي= poly، والمثال: polygon= مضلع » [22].

أمّا عن اللواحق، فيذكر الدكتور محمود فهمي حجازي الكـثير مـن المصـطلحات المعتمدة عليها ندرج منها ما يلي :

«علم= ics ، ique ، والمثال: genetics =علم الوراثة، linguistics =علم اللغة phonetics= علم الأصوات.

علم= logy، zoology علم الحيوان ، علم الأحياء= biology» [23].

ممّا سبق نستخلص أنّ الاشتقاق حاضر في اللغات الإنسانية الأخرى ،غير العربية. ولكنّ هذا التواجد معتمد، في معظمه، على الزوائد، سوابق ولواحق ، تضاف إلى الكلمة الأساس لإضافة معنى خاصّ.

أمّا في اللغة العربية فجوهر الاشتقاق يعتمد على الوزن أو الصيغة، لا على الإضافة، وقد توجد، كتاء التأنيث في (معلِّمة) و(ات) في (رياضيات) و(بصريات) . و الملاحظ على الإضافة الخاصّة باللغة العربية أنّها غالبا ما تكون وثيقة الصلة بالصيغة، وليست مجرّد إضافة . فالصيغة وحدة متجانسة، تامّة الدلالة بمعناها الخاص، لذا تقابل السوابق واللواحق التي تتصف بها اللغات الأجنبية فمثلا: اللاحقة able تقابل بصيغة المفعول ، نحو: محمولPortable- أو بصيغة الفعل المبني للمجهول، نحو: يُكسَر Cassable، يُغسَل Lavable، وكذا: صيغة اسم الفاعل تقابل اللاحقة ier ، نحو: عامل Ouvrier، أونقابلها بـ فعّال، نحو: نجّار Menuisier.

وقد يبدو لنا أحيانا أنّ حروف المدّ في العربية ، وكذا الحركات، وظيفية ، و ذات أهمّية بالنسبة إلى الاشتقاق كقولنا: كتَبَ ، كُتُب، كِتاب، كاتب،،، فَتَح، فَتْح، فتوح، فاتح ،إلخ .. الأمر الذي يشير إليه الدكتور حنفي بن عيسى- رحمه الله- بقوله :« الحركات الثلاث (الفتحة والضمّة والكسرة) وكذلك الوقفة، يمكن بواسطتها استحداث ألفاظ متمايزة في المعنى، فالحُبّ (بضمٍّ الحاء) غير الحَبّ(بالفتح)، أوالحِبّ (بالكسر). والحُرّ (بالضمّ) غير الحَرّ(بالفتح)» [24] ،ولكني أعزو الأمر إلى الصيغة ، لا إلى الحركات، فـ (الفَعْل) غير (الفُعْل) غير (الفِعْل).

و بخلاف العربية، ففي الفرنسية يتغيّر ، بحرف المدّ ، المعنى والأصل الاشتقاقي دائما، فـ (Ivre) و(Œuvre) و(Ouvre) تختلف بصوامتها فقط ، لكنها لا تلتقي في الأصل ولا معنى مشترك بينها. وألفاظ مثل -Poule- Pâle - Pelle

Pile- Pouls - Poil- Poele -Paul تشترك في المادة اللغوية ، وتختلف في حروف المدّ فقط، ولكنها لا تمتّ إلى بعضها بصلة إذ معانيها على الترتيب هي : دجاج، شاحب، الرفش أو المسحاة، بطارية، النبض، الشعرة المدفأة، الوجه، ، اسم علم، رغم اشتراكها في الأصوات بترتيبها (P) و(L).

و لهذا نجد الدكتور عبد الغفار حامد هلال يخلص إلى أنّ « اللغة العربية تكاد تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده» [25] ، ويضيف قائلا:« وإذا ما قارنّا بين الاشتقاق في العربية واللغات الأجنبية ، لاحظنا أنّ العربية تمتاز- كما سبق إيضاحه- بأصول- تسمّى بالحروف الصامتة وهي ما عدا حروف المدّ – أثبت وأقوى وأبقى على اختلاف أحوال الكلمة وتصرفاتها وصيغها ومنها تتكوّن حروف الكلمة الأصلية الثابتة التي تدور معها أنى دارت ، وتثبت أنى تقلبت، وهي التي تثبت أصل المعنى في المادة اللغوية بثباتها» [26] ، ورغم وجود تلك السمات المشتركة، فإنّه وبالمقارنة نجد أنّ الإنجليزية والفرنسية يفتقدان إلى سمتي الثبات والاطراد المتوفِّرين في اللغة العربية . فقد تبيّن لنا أنّ اللواحق مثل (ier) و(rie) قد تتغيّر دلالاتها بتغيّر المادّة اللغوية. بينما غلب الثبات على صيغ الفاعل والمفعول، والمكان والزمان، وغيرها، ممّا لم يتبدّل منذ العصور الأولى، رغم التطوّرات الفكرية والحضارية الضخمة التي عرفها الإنسان العربي منذ القديم وإنّما شمل التغيير معانيها تبعا للمستحدثات التي تفتح أمام ذهن الإنسان منافذ واسعة على آفاق دلالية لايحدّها حدّ . فالهاتف اسم فاعل دلّ في الماضي على ما يسمع صوته، ولا يرى شخصه. ويدلّ اليوم على الجهاز المعروف للمكالمة عن بعد. والمحمول اسم مفعول ، دلّ في الماضي على كلّ ما يُحمل. أمّا اليوم، فيدلّ على هذا الجهاز الصغير اللاسلكي المستعمل في المكالمة مع من نريد، أينما ووقتما نريد.

ولعلّ هذا الثبات ناتج عن ثبات الصيغة، أو الوزن، أو القالب الذي تصبّ فيه المادّة اللغوية لتتشكل بشكله، فتنتج مفردة جديدة بدلالة خاصّة تضاف إلى الدلالة العامّة للكلمة الأصل.

وتبقى الصيغة سمة العربية اللصيقة بها، وهي الهيئة الصرفية الثابتة، التي يعدّها أكثر اللغويين قمّة ما أبدعه الفكر العربي. وكان من نتيجة ذلك أن اهتدى العرب إلى القياس، الأمر الذي ضاعف اتِّصاف العربية بميزتي الاطراد والثبات. يقول الدكتور ابن لعلام في الموضوع :

«.. فجعلوا النظام اللغوي كله أصولا، وفروعا، محمولة على تلك الأصول بعلل، وأدّاهم إلى استعمال قياس التعليل في أكثر أبوابه. فكان القياس ملجأهم ووسيلتهم لاستنباط قواعد هذا النظام وإثباته، وتفسير ما يبدو في الظاهر نافرا شاردا عنه من نوادر الكلام و شوارده..» [27].

وهكذا فإنّ المشتقات في العربية ترجع غالبا إلى أصل واحد، يحقق لها وحدة النسب والتماسك وقوّة الترابط بين أفراد الأسرة اللغوية ، مع صفة التوليد والنتاج ، بينما بقية اللغات لا تتمتّع بهذه السمة ، إذ قد نجد كلمات أجنبية مختلفة المادة اللغوية لكنها ذات قرابة دلالية، نحو:

Canine وChien وكذا Cheval وCavalier . كما قد نجد على العكس، كلمات مشتركة المادة اللغوية ، لكنّها مختلفة المعنى، نحو: Vers،Verre، Vertو Ver ، بمعنى: الاتجاه الكأس، اللون الأخضر، والدودة.

وكما يقول عبد الغفار حامد هلال:« وقد تجرى الكلمات في اللغات الأجنبية على وزن واحد ولكن بغير دلالة على اتفاق في المعنى ، ولا في تقسيم الأسماء والأفعال والحروف» [28].

وفي الأخير يمكن القول بأنّ الوزن الصرفي، هو القالب الثابت للمتغيّر من الألفاظ والأصل المنفرد للمباني المختلفة . لذا كانت اللغة العربية لغة اشتقاقية متصرِّفة، متّصفة بسمات العلم التطبيقي، لكون صيغة الكلمة العربية دالة بخلاف لغات أخرى كثيرة ، الأمر الذي جعل طريقتها في الاشتقاق توليدية متجدِّدة، وليست آلية ساكنة.

الهوامش :

[1] ابن لعلام مخلوف- ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه- رسالة دكتوراه- 2002/ 2003م- .40

[2] محمد الأوراغي – اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم – دار الكلام-1990 م- 88

[3] المرجع السابق- 124

[4] تمام حسان- اللغة العربية ،معناها ومبناها- الهيئة المصرية العامّة للكتاب- 1979م – 166.

[5] دلائل الإعجاز- ص 35

[6] محمد المبارك- فقه اللغة وخصائص العربية –دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع- ط7- 1981- بيروت- 191/ 264.

[7] عمّار ساسي- اللسان العربي،وقضايا العصر – دار المعارف – الجزائر - 2001 م . 60

[8] محمد المبارك- فقه اللغة وخصائص العربية- 271/ 272.

[9] المرجع السابق-الصفحة نفسها.

[10] عمّار ساسي- اللسان العربي، وقضايا العصر- 60.

[11] حسن ظاظا – كلام العرب ، من قضايا اللغة العربية - 59

[12] أبو البقاء العكبري - التبيين عن مذاهب النحويين ،البصريين والكوفيين - ص144.

[13] سمير عبد الرزاق القطب- أنساب العرب – دار مكتبة البيان ودار القاموس الحديث للطباعة والنشر- بيروت لبنان- ص 257.

[14] رمضان عبد التواب- فقه اللغة – 290/ 291

[15] المرجع السابق- ص290.

[16] عبد الغفار حامد هلال- العربية،خصائصها وسماتها- 206

[17] المرجع السابق- نفس الصفحة.

[18] المرجع السابق- 208.

[19] محمد المبارك- فقه اللغة- ص100

[20] Le Robert et Nathan- Vocabulaire- Sous la Direction d'Alain Bentolila- Ed 2001- Page 62/ 86

[21] Le Robert et Nathan- Vocabulaire- Page 66

[22] محمود فهمي حجازي- الأسس اللغوية لعلم المصطلح- من91 إلى 98.

[23] المرجع السابق- 135-136-137-

[24] حنفي بن عيسى- محاضرات في علم النفس اللغوي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- ص66

[25] عبد الغفار حامد هلال- العربية ،خصائصها وسماتها-ص 212 .

[26] مخلوف بن لعلام- ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه- رسالة دكتوراه- ص 28

[27] العربية ،خصائصها وسماتها-ص 213.

[28] عبد الغفار حامد هلال- العربية ، خصائصها وسماتها-ص 216.

المراجع:

1- ابن لعلام مخلوف- ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه- رسالة دكتوراه- 2002/ 2003م
2- محمد الأوراغي – اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم – دار الكلام-1990 م.
3- تمام حسان- اللغة العربية ، معناها ومبناها- الهيئة المصرية العامّة للكتاب- 1979م.
4- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- تحقيق :د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية- دار الفكر- الطبعة الأول (1428 هـ / 2008 م)
5- محمد المبارك- فقه اللغة وخصائص العربية –دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ط7- 1981-
6- عمّار ساسي- اللسان العربي، وقضايا العصر – دار المعارف – الجزائر - 2001 م
7- حسن ظاظا- كلام العرب، من قضايا اللغة- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت-1976

8- أبو البقاء العكبري ، التبيين عن مذاهب النحويين ،البصريين والكوفيين ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط1- 1406هـ / 1986م.

9- سمير عبد الرزاق القطب- أنساب العرب – دار مكتبة البيان ودار القاموس الحديث للطباعة والنشر- بيروت- لبنان-

10-رمضان عبد التواب- فصول في فقه اللغة- مكتبة الخانجي-القاهرة- ط6 – 1461هـ/ 1981م

11-عبد الغفار حامد هلال- العربية، خصائصها وسماتها- القاهرة- ط4- 1415هـ / 1995م .

12-- Le Robert et Nathan- Vocabulaire- Sous la Direction d'Alain Bentolila- Ed 2001-

13-محمود فهمي حجازي- الأسس اللغوية لعلم المصطلح- مكتبة غريب- القاهرة- د.ت

14-حنفي بن عيسى- محاضرات في علم النفس اللغوي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.